

الأسرة الثالثة والعشرون

مقدمة

ذكرنا فيما سبق أنه منذ حكم الملك «أوسركون الثاني» أخذ الغموض والإبهام يحيطان بتاريخ الأسرة الثانية والعشرين، حتى أصبح من الصعب أن نتعرف على ترتيب الملوك الذين كانوا يحملون اسم «شيشنق» أو «أوسركون» أو «تاكيلوت» ممن ذكروا على الآثار، وقد لاحظنا كذلك في تلك الفترة أن العادة السائدة كانت أن يُنتخب الكهنة العظام «لأمون» الطيبي من بين أولاد الفرعون الحاكم في «بوسطة»، ومن ثم نشأ فرع من الأسرة المالكة نما وترعرع في طيبة أخذ يتحالف مع الأخلاف المحليين للملك الكهنة السابقين، ولم يمض طويل زمن حتى أخذوا يُظهرون ميولاً انفصالية عن الشمال، وعلى ذلك أصبحت البلاد من جديد فريسة للخلافات الداخلية، وكانت النتيجة أن انتهت الأسرة الثانية والعشرون كالأسرة السابقة بانفصال الوجه القبلي عن الوجه البحري.

وقد بدأ هذا الحكم الثنائي للبلاد في عهد «أوسركون الثاني» كما ذكرنا من قبل؛ فقد أعلن الكاهن الأكبر لأمون «حورسا إزييس» ابن الملك «أوسركون الثاني» نفسه ملكاً على «طيبة»، وفي حوالي عام ٨٣٨ ق.م صار «بدو باست» ملكاً على طيبة، وهو الذي قال عنه «مانيتون»: إنه المؤسس للأسرة الثالثة والعشرين. ومن ذلك نفهم أن هذه الأسرة لم تخلُف الأسرة الثانية والعشرين؛ بل كانت معاصرة لها، وكانت تحكم في «طيبة»، في حين كان أواخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين لا يزالون يحكمون في الدلتا. والواقع أن «مانيتون» قد أخطأ في تسمية هذه الأسرة بالأسرة التانيسية (مثل الأسرة الواحدة والعشرين)؛ إذ نجد

أن اسم «بدو باست» كان في الواقع من أصل بوبسطي كما يدل اسمه على ذلك (ومعناه: منحة الإلهة «باست»).

ومن الجائز¹ أن هذه الأسرة كانت قد اتخذت مقرها أولاً في «تانيس»، ولكن عند حملة «بيعنخي» لم يكن مقرُّ ممثِّل الأسرة المسمى «أوسركون» في «تانيس» بل كان في «بوسطة».

ولا نعلم الأحوال التي أعلن فيها «بدو باست» نفسه ملكاً، ومن المحتمل أنه نودي به ملكاً في الدلتا، ثم بعد موت الكاهن الأكبر «أوسركون» أعلن ملكاً في «طيبة».

والظاهر أن فرعي الأسرة اللذين يناهض أحدهما الآخر لم يمكثا طويلاً في نزاع؛ إذ نجد أنه في حكم «بدو باست» كانت القيادة العليا للجيش في «طيبة» في يد أحد أولاد «شيشنق الثالث»، ومنذ تقسيم البلاد لمملكتين: الدلتا والصعيد؛ نجد أن ملوك كلتا المملكتين أخذوا يتهاونون شيئاً فشيئاً في ترك معظم البلاد في أيدي رؤساء محليين من الذين لا يعيشون إلا على الدس والتآمر، حتى انتهى الأمر بأن أعلن ثمانية عشر منهم استقلالهم في المدن الرئيسية لمصر الوسطى والدلتا، فكان الواحد من هؤلاء الأمراء لا تزيد مساحة الإقليم الذي يحكمه عن أكثر من مقاطعة من مقاطعات القطر الأصلية.

¹ ويقول «جوتيه» (L. R. III. p. 376): «ليس لدينا أي دليل حتى الآن بأن نعتقد أن هذه الأسرة كان مقرها في تانيس على عكس ما يؤكده «مانيتون» (راجع Unger chronologie des Manetho p. 238)؛ وذلك لأن أسماء مثل «بادو باست» من جهة، وبقاء أسماء مثل «أوسركون» و«تاكيلوت» من جهة أخرى، تحو بنا إلى أن نتعرف في ملوك الأسرة الثالثة والعشرين أسماء بوبسطة حقيقية مثل أسماء ملوك الأسرة الثانية والعشرين، (هذا، ويظن كل من «مسبرو» و«بريستد» أن الأسرة الثالثة والعشرين كان ملوكها فرعاً صغيراً من أسرة بوبسطة) (راجع Maspero Hist, III p. 166 & Br. A. R. IV p. 407). ونجد أن كل هؤلاء الملوك والملوك الصغار الذين انفصلوا عن البيت المال منذ حكم «أوسركون الثاني» — الذي انقسمت في عهده البلاد إلى حكومة طيبة الدينية وملك الدولة المصرية القديم في بوسطة — كانوا من أسرة واحدة، وأن بين بعضهم والبعض الآخر صلة نسب إما بالبنوة والمباشرة أو الزواج. والواقع أنه لدينا أسباب أقل (ليسمى بعضهم تانيسين) من الأسباب التي تحو بنا لتسمية بعضهم الآخر طيبين، ونحن على ثقة من أن الكثير من بينهم قد حكموا إما في «طيبة» فقط أو في «طيبة» وفي «بوسطة» في آن واحد، في حين أننا لا نجد لهم تقريباً أي أثر في «تانيس». هذا ما حدثنا به «جوتيه»، ولكن ظهر أخيراً بعض آثار للملك «بادو باست الأول» في «تانيس» وسنتحدث عنها هنا (راجع Bulletin De la Societe Francaise D'Egyptologie No. 2 Octobre 1949 p. 32-33).

وقد كان هذا التقسيم أخذًا في الازدياد في عهد «بادو باست»، والواقع أن السنة السادسة عشرة من حكم «بدو باست» تقابل السنة الثانية من حكم ملك يدعى «أوبوت» كان هو المسيطر على إقليم «بويسطة»، وملك آخر يدعى «نمروت» في «هرموبوليس»، ويسيطر «بدو باست» آخر على «أهناسية المدينة»، وأعلن كل منهم نفسه ملكًا في إقليمه، هذا إلى أن «تفنخت» حاكمة بلدة «سايس» التجارية الواقعة على فرع النيل الكانوبي قد ضمت إلى ممتلكاتها أهم مدينة في الوجه البحري وهي «منف»، وقد كانت حالة الانحلال هذه التي كانت تسود في الدلتا هي التي جعلت ملك «إثيوبيا» «كاشتا» يستولي على الوجه القبلي، ثم أتى من بعده «بيعنخي» وانقض بجيشه على الدلتا حوالي سنة ٧٣٠ ق.م وأعاد وحدة البلاد تحت حكمه هو من البحر الأبيض المتوسط حتى الشلال الرابع. وسنحاول هنا بعد هذه المقدمة أن نذكر ما نعرفه عن ملوك الأسرة الثالثة والعشرين.